مقـاربة سوسيولوجية لمحددات دور المرأة

ملخص

إن دور المرأة هو قبل كل شيء محدد بعدد من الالتزامات المرتبطة أساسا بحياة الأسرة. وهذا نتيجة لتركيبات تاريخية – اجتماعية تعكس اختلافات، وتشابهات من مجتمع إلى آخر، ومن ثقافة إلى ثقافة أخرى. الأمر الذي يقود إلى تفسير هذا الدور في ضوء العلم السوسيولوجي، الذي من موضوعه: دراسة العلاقة الاجتماعية.

إن العلاقة الاجتماعية بين الرجل/ والمرأة هي من أساسيات علم الاجتماع بشكل عام، وعلم الاجتماع العائلة بشكل خاص. وعليه بات من الضروري رصد مختلف الأبعاد المحددة لدور المرأة- سواء ما تعلق منه بجوانبه الأنثروبرلوجية، أو جوانبه الاجتماعية، أو الثقافية.ومن ثم لابد من توضيح هذا الدور من خلال دراسة العائلة، ومختلف التصورات الاجتماعية، وكذا أنماط التركيبات العائلية التي تحكم البناء الأسري في شكليه ألاستقراري والديناميكي.وعليه فإن هذه الأدوار المرتبطة بحياة المرأة يجب أن تأخذ بعين الاعتبار ما لها من خصوصيات،وما لها من جوانب متكاملة مع أدوار أعضاء الأسرة. هذا المقال يحاول عرض هذه الإشكالية.

د. خنونة مسعودة
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
جامعة منتوري قسنطينة الجزائر

Résumé

Le rôle de la femme est avant tout déterminé par un certain nombre d'obligations liées essentiellement à la vie domestique. Ceci est le résultat de constructions historiques, sociales, reflétant des différences et des similitudes d'une société à une autre, et d'une culture à une autre.

L'explication de ce rôle interpelle la science sociologique avant tout, dont un objet de connaissance est justement la relation sociale.

مقدمـة

اهتم الكثير من العلماء والباحثين بموضوع اختلاف وانقسام الأدوار بين المرأة والرجل ،واختلاف العوامل التي تحدد أوضاعهم ومراكزهم في البناء الاجتماعي . فمنهم من يرجع هذا الاختلاف، والتفاوت إلى أسباب بيولوجية بحتة ترتبط بالوظيفة الطبيعية للمرأة، وهي: الحمل، الولادة،والرضاعة. ومنهم من يذهب إلى الاعتقاد بأن الاختلاف يعود إلى أسباب فسيولوجية وفيزيقية تتصل بطبيعة كل جنس، على اعتبار أن المرأة أقل قدرة من الناحية الجسمية والعضوية من الرجل، وفي هذه الحالة

© جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر 2009.

La relation sociale homme/ femme est au fondement de la sociologie en générale et de la sociologie familiale en particulier .Il est donc hautement nécessaire de faire état, recenser l'ensemble des déterminants du rôle de la femme qu'ils soit anthropologiques, sociologiques, ou culturelles.

Il faut donc éclaircir ce rôle à travers l'étude de la famille, des représentations sociales, et des modes de constructions familiales dans leur stabilité et leur dynamique. Ces rôles doivent être appréhendés dans ce qu'ils ont de spécifiques et de complémentaires avec les rôles des autres membres de la famille.

Cette article tente d'exposer cette problématique.

يتم توزيع الأدوار بين الجنسين في المجتمع وفقا للقدرة الجسمية. في حين يرى آخرون أن التقاليد والمعايير الاجتماعية الموروثة من العصور السابقة- التي تضع المرأة في مرتبة أقل من الرجل- هي التي عملت على تكريس وإبقاء التباين في الأوضاع والمراكز الاجتماعية بين الجنسين، ومنه التقسيم في الأدوار الموكلة لكل منهما.وقبل التطرق إلى هذه المحاور، يصير من الضروري توضيح مفهوم الدور، ومنه دور المرأة.

1- مفهوم الدور: Rôle

على الرغم من كثرة التعريفات التي أعطيت لمفهوم الدور،واستخدامه المبكر في الدراسات الأنثروبولوجية .فإن هذا المفهوم عرف تحولات في ماهيته ومضمونه وظهور اتجاهات عديدة حوله. الأمر الذي أدى إلى إخفاق العلماء في إيجاد تعريف محدد وقاعدة مشتركة يتفق عليها الجميع تكون مرشدة وموجهة للأبحاث والدراسات الامبريقية. وقبل التعرض لبعض هذه الاختلافات،تجدر الإشارة إلى أن كلمة دور مشتقة من أصل لاتيني" Rotulas " وتعني من الناحية اللغوية الحركة والوظيفة، وهي كلمة مستعارة من حياة المسرح، فيقال أدى دورا مسرحيا، لتعني أن الفرد مثل أنواعا من السلوك على خشبة المسرح. أما المعنى العام له فيرتبط بالسلوك الإنساني الذي يعبر عن المركز أو الوضع الذي يشغله الفرد في الجماعة أو في البناء الاجتماعي، الأمر الذي يبين أن هناك ارتباطا وثيقا بين الوضع والدور وبين البناء الاجتماعي. فإذا كان الدور هو عبارة عن السلوك المتوقع من وضع اجتماعي معين، فإن الوضع هو الذي يحدد ويقرر سلوك الدور، ولذلك كثيرا ما يستخدم المصطلحان إحداهما مكان الآخر.

ثم استخدم هذا اللفظ من طرف السيكولوجيين وعلماء النفس لدراسة الشخصية، وكان لجهودهم الرائدة صياغة تعريفات متعددة ومتنوعة، فسحت المجال لتطوير رؤى أكثر عمقا ونضجا. أما إذا تناولنا مفهوم الدور في معناه السوسيولوجي، فلعل من أكثر التعريفات انتشارا وقبولا، هو تعريف"رالف لينتون- R. Linton" الذي يشير إلى "مجموعة من الحقوق والواجبات المتبادلة بين الأفراد بحكم الأوضاع والمراكز الاجتماعية التي يشغلونها في بناء اجتماعي معين" (1)ذا الدور يفترض فكرة معيارية عن القيم والالتزامات المرتبطة بالمهام التي تحيط به، مما يبرز أن الدور يقترن بمجموعة من السلوكيات المحددة في مقابل امتيازات يحصل عليها القائم بالدور. و يعتقد كثير من علماء الاجتماع أن كل تنظيم يتضمن مجموعة من الأدوار متمايزة

تقريبا. وهذه الأدوار يمكن تعريفها بصفتها أنظمة إلزامية معيارية يفترض بالفاعلين الذين يقومون بها الخضوع لها، وحقوق مرتبطة بهذه الأنظمة. ضمن هذا السياق يذهب "تالكوت بارسونز- T. Parsons إلى معالجة مفهوم الدور من خلال تصوره الفكري ونزعته البنائية الوظيفية، حيث يرى أن تفسير الدور يقترن بمفهوم الفعل الاجتماعي والنسق. إذ يعتبر أن الفعل الاجتماعي إنما يتم في إطار نسق اجتماعي. وهذا الفعل الاجتماعي هو سلوك موجه لتحقيق غايات وأهداف وتوقعات معينة، يحدث في المواقف المنظمة معياريا، ويتضمن اتفاق الجهد والطاقة. كما يرى أن الدور هو النسق التوجيهي الكلي للفرد الفاعل، وأنه ينتظم حول توقعات الجماعة في علاقتهما وتفاعلهما مع جماعات أخرى في إطار المعايير القيمية التي تسير عملية التفاعل وهكذا فإن "بارسونز" يفسر الدور من خلال هذه التوجيهات القيمية التي تحدد مجموعة المهام والأنشطة الموكلة للفرد في إطار النسق الاجتماعي. ولعل اتجاه " بارسونز "نحو اعتبار الدور نسق توجيهي منظم حول التوقعات المرتبطة بالمستوى التفاعلي، يعني أن الفاعل يقوم بعملية تنفيذ سلوكيات مقررة ومحددة في إطار تكاملي للحفاظ على النسق الاجتماعي الكلي. وإذا كان "بارسونز" يربط بين الدور والفعل الاجتماعي من ناحية، فإنه من جهة أخرى يربط بين الدور والنسق الاجتماعي. ويرى أنه من الأهمية بمكان القيام بتحليل بنائي للنسق الاجتماعي من أجل فهم ما يقوم به صاحب الدور. ويفسر النسق على أساس تبادل الأفعال والسلوكيات ومدى علاقتها بالمتغيرات المجتمعية التي تتعلق أساسا بالضوابط التي تحكم عملية التكامل والانسجام بين الأفعال. ومن ثم تبدأ عملية التفاعل بين صاحب الدور وبين النسق الاجتماعي. وهذه "الضوابط الاجتماعية هي التي توجه الفعل الاجتماعي- والتي قد ترجع إلى التقاليد أو الموجهات الأخلاقية- التي من شأنها أن تحافظ على تماسك البناء وتضمن له الدوام والاستمرار. إذن يتضح جليا أن " بارسونز " يعالج مفهوم الدور من خلال النسق الفكري له، مركزا على الجانب التفاعلي للدور، وما يمكن أن يحققه من استجابة للمعايير والتوجيهات القيمية السائدة لتحقيق الانسجام والتكامل مع النسق الاجتماعي. وعليه، فإن "بارسونز" يعتبر أن الدور عبارة عن نسق له متطلبات وظيفية واحتياجات معينة يجب تحقيقها. ومن هذه المتطلبات الوظيفية التي يواجهها أي نسق، هي : التكيف – تحقيق الهدف – التكامل والمحافظة على النمط (امتصاص التوتر). ويرتبط التكيف وتحقيق الهدف بمواجهة المشكلات والمتطلبات من خارج النسق، في حين يرتبط التكامل وتدعيم النمط بمواجهة المشكلات التي يخلقها التفاعل داخل النسق ويحققان الحفاظ على القيم. وعليه فإن الدور يواجه نفس المتطلبات الوظيفية التي يواجهها أي نسق.

فالدور عبارة عن جملة من الأفعال المكتسبة يؤديها شخص في موقف تفاعل اجتماعي معين، وتدل على ثقافة معينة، وما تمنحه هذه الثقافة من امتيازات وواجبات للفرد الفاعل.

وبناءا على ما تقدم، يمكن النظر لدور المرأة على أنه مجموعة من النشاطات والمهام اليومية المعتادة والمتوقعة منها، التي تنجزها في موقف اجتماعي معين سواء داخل الأسرة أو خارجها.

2- تحديد دور المرأة على أساس الناحية البيولوجية.

يرى علماء الأثيولوجيا في معالجتهم لمسألة تقسيم العمل وتحديد الدور على أساس النوع (أو الجنس)، أن ارتباط دور ربة البيت بالمرأة دون الرجل له جذور بيولوجية بحتة. هذا يعني أن تقسيم العمل بين الذكر والأنثى يعود إلى عوامل بيولوجية طبيعية. فالأمومة وما يرتبط بها من وظائف تعد من تخصص المرأة، على اعتبار أن المرأة هي التي تحمل وتلد وتقوم برعاية الطفل وتغذيته. ومن ثم يتحدد دورها انطلاقا من هذا الوضع الطبيعي الذي زودت به. ويصير العمل المنزلي من اختصاص المرأة وحدها. في هذا السياق، حاول" بارسونز" الربط بين خصائص المرأة البيولوجية ودورها في المجتمع واعتبرها أداة تناسل، وأكد على ارتباطها بالأسرة والمنزل وحضانة الطفل" (4). لذا يصير تعريف حياتها مرتبطا " بتعابير مستقاة من وظائفها التناسلية، وتشكيل شخصيتها عن طريق ارتباطها مع الأم التي هي بدورها امرأة "(5). فالأمومة دور ثابت في كل زمان ومكان لا يطرأ عليه أي تغيير أو تبديل. في حين يتغير دور ربة البيت ودور الزوجة طبقا لمستوى تحضر المجتمع وتقدمه. فأصحاب هذا الاتجاه يعتقدون أن الاختلاف الطبيعي بين المرأة والرجل، ينجر عنه اختلاف في الوضع والمركز الاجتماعي الذي يحتله كل منهما في نسق البناء الاجتماعي، الأمر الذي يترتب عليه اختلاف في المهام والنشاطات التي توكل إلى كل منهما.

الملاحظ هنا أن أصحاب هذا الاتجاه ربطوا بين الدور البيولوجي للمرأة والدور الاجتماعي لها. وتدعم هذا الموقف في ظل معتقدات وذهنيات جعلت منه أحد الأسس الهامة المحددة لدور المرأة في الحياة الاجتماعية. واستنادا إلى ذلك، اعتبر البعض أن "دورها منقوص ومنخفض نتيجة دورها البيولوجي"(6). وأصبحت المرأة تنظر إلى نفسها من خلال هذا الدور، وتدعمه في بعض الأحيان بابتعادها عن الاهتمام بقضايا المجتمع، وتنغمس بشكل رئيسي في نشاطات منزلية بسبب دورها كأم، وتصير نشاطاتها الاقتصادية والسياسية مقيدة بفعل مسؤوليتها نحو رعاية أطفالها، كما أن البيت والأطفال يصيران محور اهتماماتها الخاصة.

يبدو أن تقسيم العمل بين الجنسين، وتحديد دور كل منهما - وإن تم على أساس الاختلاف البيولوجي- فهو ليس تقسيما جامدا ومحددا تحديدا دقيقا. ففي مجتمعات كثيرة ومتعددة يستطيع كل جنس انجاز وأداء الأعمال التي يقوم بها الجنس الآخر. فالمجتمعات الصناعية تقوم المرأة فيها بكثير من الأعمال التي ساد الاعتقاد بأنها من مهام الذكور فقط، كما أن هناك رجالا تعلموا الطهي والقيام بالأعمال المنزلية الروتينية الأخرى"(7) هذا السياق ترى "سيمون دي بوفوار- S. de Beauvoir " أن "العوامل البيولوجية لا تصير ذات أهمية، إلا عندما يبرز الأفراد معناها أثناء أدائهم لدورهم، أو عندما تكون مرتبطة بأساليب مميزة من العمل .(8) ومما لاشك فيه فإن تحديد دور المرأة لا يرجع بالضرورة إلى الاختلاف البيولوجي، وإنما يعود إلى تلك المعتقدات والأفكار التي تغذيه وتدعمه،ذلك أن "عدم التماثل والتشابه بين الجنسين، يمكن أن يحدث نتيجة مجموعة من العوامل المختلفة، التي لها علاقة وثيقة بأسس المجتمعات البشرية، أما العوامل البيولوجية ربما تكون واحدة منها. ومع ذلك لا يمكن

إنكار عدم التماثل والتجانس بين المرأة والرجل من الناحية البيولوجية، وهو أمر طبيعي.

3- تحديد دور المرأة على أساس الناحية الفسيولوجية .

ينطلق علماء الأنثروبولوجيا من معطاة أساسية طبيعية تتمحور حول اختلاف المرأة والرجل من الناحية الفسيويولوجية (الجسمية)، حيث يرون أن الرجل يتمتع بقوة جسمية وعضلية تفوق تلك القوة التي تتميز بها المرأة، وأن " طاقة الاحتمال والقوة الجسدية، يمكن أن تؤدي إلى اختلافات تميز كل من نشاطات الرجل والمرأة" (9). ويعلل العلماء الباحثون موقفهم هذا من خلال الدراسات البيولوجية والتشريحية، التي تؤكد وجود اختلاف بين المرأة والرجل من ناحية التركيبة الجسمية والعضلية، كاختلاف حجم الهيكل العظمي والجمجمة وغيرها. وعليه، فإن الاختلاف والتباين من الناحية الفسيولوجية يمكن الرجل من القيام بأكثر الأعمال مشقة وجهدا جسميا. وقد وجد هذا الرأي صداه وتأييده في بعض المجتمعات الإنسانية، حيث وجد اختلاف في دائرة النشاطات والأعمال الموكلة لكل منهما. فإذا استعرضنا تاريخيا ترتيب الأعمال وشيوعها بين الرجال والنساء، لتبين لنا أن أكثر الأعمال مشقة وجهدا، كالعمل في المناجم والآبار واستخراج المعادن وصناعة الأسلحة، وغيرها من الأعمال الشاقة، كانت دائما من نصيب الرجال. في حين تحتم الطبيعة الفسيولوجية للمرأة القيام بالأعمال التي تتطلب أقل قوة وجهدا : كتحضير الطعام وإعداده، وترتيب البيت، وصنع النسيج والفخار وغيرها من الأعمال التي اعتبرت- في كثير من الأحيان - امتدادا لدورها الطبيعي. في هذا السياق يرى "جورج ميردوك" أن التقسيم في العمل بين المرأة والرجل وتحديد دور كل منهما في الحياة الاجتماعية يؤدي إلى تحقيق نوع من الانسجام والتكامل "فالأسرة هي مؤسسة في حالة من الانسجام، فالزوج والزوجة في حالة من التكامل في تقسيم العمل" (10) فالرجل يتمتع بقوة جسمية تمكنه من القيام ببعض الأعمال التي يصعب على المرأة القيام بها بالنظر إلى قدرتها الجسمية. هذا لا يعني بطبيعة الحال أن المرأة تظل حبيسة المنزل بسبب هذا الاختلاف الطبيعي في القوة الجسمية.

يتضح أن علماء الأنثروبولوجيا اتخذوا من عدم تماثل المرأة والرجل من الناحية الفسيولوجية، والجسمية سببا لتفسير تقسيم العمل بين الرجل والمرأة، وتحديد أدوارهم في الحياة الاجتماعية.فقد اعتمد أصحاب هذا الرأي على معلومات دقيقة مستمدة من دراسات ميدانية للمجتمعات التقليدية. إلا أن بعض المعطيات التاريخية، تشير إلى أن المرأة لم تخضع دائما إلى هذا التقسيم حيث أن" النساء في عصر الجماعة القبلية كن مساويات للرجال في العمل، وأن الجماعة كانت تتعاون فيما بينها نساء ورجالا من أجل تحقيق نوع من التكامل" (11). واستمر وضع المرأة مساويا لوضع الرجل إلى أن اكتشف الإنسان الزراعة وتربية المواشي، حيث بدأ يظهر أول تقسيم للعمل بين النساء والرجال، فأخذ الرجل الأعمال ذات الصلة بالعالم الخارجي، بينما اضطرت المرأة إلى الانزواء في البيت وتولي شؤونه. ومع مرور الزمن تكونت أفكار وتصورات ذهنية

حول دور كل جنس، جعلت في كثير من الأحيان أن العالم الخارجي من اختصاص الرجال، بينما اقتصر دور المرأة على تأمين العمل المنزلي. وبتوسع مجال الزراعة واكتشاف بعض المعادن كالنحاس والبرونز والحديد، عندئذ " لجأ الرجل إلى استخدام رجال آخرين خفضهم إلى درجة الرق وظهرت الملكية الخاصة، وصار الرجل سيد العبيد والأرض، ومالكا للمرأة أيضا (12) هنا انتقلت المرأة إلى وضع أدنى، وشاعت مفاهيم ومعتقدات حولها، داعية هذه المعتقدات إلى أنها أقل من الرجل، وأن عملها ينحصر في البيت.

يبدو أن الطروحات السابقة اعتمدت على معطيات موجودة في الطبيعة البشرية، متخذة من هذه المعطيات معيارا لتقسيم دائرة الأعمال والنشاطات المختلفة بين النساء والرجال. إلا أنه يمكن القول أن هذا التقسيم للوظائف والأعمال واجه ولازال يواجه - في العصر الحديث- معارضة شديدة من طرف المرأة ومؤيديها، حيث نلاحظ أن بعض المجتمعات أحرزت فيها المرأة مكانة أرقى مما كانت عليه، وأثبتت قدراتها وإمكانياتها، فشاركت في معظم الحروب والثورات، كما ساهمت في كافة مجالات الحياة الاجتماعية. ضمن هذا التصور ترى "سناء الخولي" أن الاختلافات الظاهرة بين الجنسين،هي اختلافات ثقافية دعمتها تجربة إنسانية طويلة" (12). فعلى الرغم من وجود اختلافات بيولوجية وفسيولوجية بين الجنسين، إلا أن هناك تشابها كبيرا في مختلف العمليات العقلية والنفسية، كالإحساس والشعور والفهم والإدراك ومستوى الذكاء...الخ. ومعنى ذلك"أن معظم الفروق والاختلافات بينهما، هي انعكاس للتوقعات الثقافية أكثر منها نتاج للاختلاف في الوظيفة العصبية" (13). الأمر الذي يؤكد وجود عوامل أخرى، ساهمت في تقسيم الأدوار الاجتماعية بين المرأة والرجل. ولعل المسألة مرتبطة بالتصور الاجتماعي الذي تتحكم فيه ثقافة المجتمع، ونظرته إلى مركز ووضع كل من المرأة والرجل في نسق البناء الاجتماعي، الأمر الذي يقود إلى معالجة الموضوع من ناحية الذهنية الثقافية للمجتمع.

4- الأبعاد الثقافية والتصورات الذهنية لدور المرأة .

يرى الباحثون والمحللون الاجتماعيون أن تقسيم وتخصيص الأدوار بين الجنسين، مرده إلى نسق الثقافة وما تحويه من عادات وتقاليد وتصورات حول دور كل جنس في الحياة الاجتماعية. وقد ارتأينا ضرورة التعرض لهذه العلاقة العضوية بين الثقافة من جهة، وبين الأنساق الفكرية والتصورات الذهنية التي تحدد أوضاع الأفراد وأدوارهم من جهة ثانية. إن جل المجتمعات تعترف وتقر بالاختلافات الطبيعية أو الفطرية بين المرأة والرجل - بيولوجية كانت أو فسيولوجية -إلا أنها تتفاوت فيما بينها من حيث درجة تعاملها مع هذه الاختلافات، وذلك باختلاف مستواها الحضاري وتقدمها الفكري. تتبلور هذه الاختلافات في شكل تصورات ذهنية شفهية أو في شكل قواعد رسمية وقوانين متعارف عليها يؤمن بها المجتمع، الأمر الذي يجعل الأفراد يلتزمون بها، ويسلكون وفقها، فيصبح كل جنس مرتبطا بالإطار الذي حدده له المجتمع.وبطبيعة الحال فإن هذه التصورات تتجدر عبر مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تعمل بدورها على تثبيتها وترسيخها، حتى تتماشى طبقا للنموذج الثقافي السائد في هذا المجتمع أو

ذاك ابتداء من الأسرة، فالمدرسة، ومنهما إلى المجتمع الكبير. فتصورات المرأة عن دورها، وتصورات المجتمع لهذا الدور، يتحدد في ضوء الثقافة السائدة لهذا المجتمع أو ذاك.وعليه فإن الثقافة بكل محتوياتها ومضامينها تشكل بعدا هاما في تقسيم وتحديد الأدوار،وتؤثر في كل جانب من حياة الفرد وتحدد أهدافه وطموحاته، وحتى طرق الاستجابة لمختلف المواقف التي يتعرض لها في حياته اليومية.

في هذا الإطار يرى المفكر الجزائري "مالك ابن نبي" "بأن الثقافة تؤثر في الفرد منذ ولادته لتصير لاشعوريا تلك العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه، فهي على هذا المحيط الذي يشكل فيه الفرد طبعه وشخصيته".(14) وتختلف المواقف والتصورات حول دور المرأة باختلاف الأزمنة واختلاف الأنساق الثقافية السائدة، فهناك ثقافات تشجع المرأة على العمل الخارجي، وهناك ثقافات لا ترغب في عمل المرأة وتحصرها في دائرة النشاطات المنزلية، وهكذا... ومهما يكن من أمر، فإنه من الطبيعي أن تتدخل العناصر الثقافية في تنظيم وتحديد قواعد السلوك الاجتماعي للأفراد، وتضع الآليات اللازمة للحفاظ على توازن المجتمع واستقراره. إلا أنه يبدو غريبا حينما تصير هذه العناصر الثقافية بمثابة قيود وضغوط اجتماعية تعمل على عرقلة تنمية الأفراد وتحديد أدوارهم بما لا يتماشى وإمكانياتهم وطموحاتهم رجالا كانوا أو نساء. ولعل هذه الاعتبارات الثقافية والتصورات الذهنية مارست- عبر التاريخ البشري الطويل-دورا سلبيا انعكس على النظرة للمرأة وحصرها في العمل المنزلي، والتحكم في حراكها الوظيفي في الحياة الاجتماعية. كل ذلك لم يسمح لها بالتطور والرقي رغم ما تبذله من جهد على المستويين الأسري والاجتماعي.

يمكن القول، أن دور المرأة-منذ العصور القديمة-تأثر بهذه المحددات الثقافية حيث عاشت أوضاعا- أقل ما يقال عنها-أنها سيئة نتيجة الأنساق الثقافية التي سادت بشأنها، التي حصرت دورها في خدمة الرجل والخضوع لسيطرته، مما حال دون مشاركتها الفعلية في الحياة الاجتماعية. لكن بفضل التحولات التي عرفها المجتمع الإنساني، وما طرأ اليوم من تغيير في أدوار المرأة لدليل واضح على تغير الأنساق الثقافية، والتصورات الذهنية التي بدأت تؤكد وتبرز أهمية دور المرأة ومساهمتها في الحياة الاجتماعية.

5- تطوير واستحداث صورة جديدة لدور المرأة.

إن مسألة تقسيم وتوزيع الأدوار بين الرجل والمرأة ضمن أطر وأبنية اجتماعية متنوعة، شكلت ولازالت تشكل جدالا ونقاشا طويلين بين الباحثين والمهتمين بالدراسات الاجتماعية. الأمر الذي ترتب عليه تباين واختلاف في الآراء والأفكار السائدة بشأنه.وعليه فإن تقسيم العمل بين الجنسين له جذور متأصلة في التاريخ البشري، لا يمكن ردها إلى عامل واحد أو النظر إليها من زاوية واحدة، لما لها من ارتباط وثيق بأسس المجتمعات وثقافتها، والتي صارت- لاشعوريا- كمحددات يعتمد عليها في تقسيم الأدوار بين الجنسين. فهناك معطيات طبيعية فطرية وأخرى ثقافية اجتماعية ترسخت عبر مراحل زمنية متعاقبة، أفرزت معايير وقيما اجتماعية معينة

ينظر من خلالها لدور كل جنس في الحياة الاجتماعية. في هذا السياق، يرى"جورج سيمل.-Georges Simmel" أنه من أجل فهم العلاقات بين النساء والرجال، لابد من قبول فكرة الاختلاف الطبيعي بينهم، هذا الاختلاف يعتبر مستقلا عن الدور الاجتماعي الذي يلعبه كل واحد منهما" (15). والملاحظ اليوم أن التحولات التي عرفها المجتمع الإنساني في العصر الحديث، وقيام الثورة الصناعية صاحبه تغييرا جذريا في كافة جوانب الحياة الاجتماعية، كان من آثارها إحداث تغييرا في الأنساق القيمية والتصورات الذهنية. كل ذلك أدى بالباحثين إلى فتح المجال لطرح جديد في اتجاه تشجيع المرأة نحو العمل الخارجي، والتركيز على إمكانياتها وقدراتها على العمل والإنجاز. فالتنظيم الحديث للعمل يرشح حاليا عوامل موضوعية، كالإنجاز والقدرة على الأداء، بحيث صار دور الفرد يتحدد وفقا لمهارته وكفاءته، بغض النظر عن الجنس أو النوع.

ولعل التحديد الدقيق لأدوار النساء والرجال في هذا العصر بدأ يتلاشى شيئا فشيئا، ولم يبق التمايز حادا في المجتمعات المتقدمة، إذ يتم حاليا اختراق وتجاوز تدريجي لتقسيم العمل بين الجنسين المتمثل في ثنائية الأدوار الإنتاجية/الأدوار الإنجابية، وبدأت النساء تدخلن في مجالات العمل التي كانت حكرا على الرجال. وبالمقابل بدأ الرجال يتقبلون تحمل مسؤوليات أكبر تدخل في نطاق المهام المنزلية"(16).

أما تقسيم العمل في المجتمع العربي، فمازال يقوم على النمط التقليدي الذي يخصص أعمالا معينة لكل من الجنسين. فالمرأة مسؤولة مسؤولية كاملة عن الأعمال المنزلية، ورعاية الأطفال، والقيام بعملية التنشئة الاجتماعية، والاهتمام بشؤون الأسرة ومتطلباته، فضلا عن العمل الخارجي الذي أصبحت تؤديه. كل ذلك يشير إلى الأعباء الثقال التي أضيفت للمرأة في هذا العصر، وتحملها مسؤوليات جديدة دون مراعاة لظروفها الخاصة. ورغم ما طرأ من تغيير على دور المرأة العربية، وغزوها لكثير من ميادين العمل، واكتسابها دورا جديدا يطلق عليه أحد الباحثين " بالدور المزدوج" إلا أن حفاظها على دورها الرئيسي في الأسرة، والتزامها بالواجبات الأسرية لازال قائما.وهذا مؤشر إيجابي يدل على الأهمية المركزية التي تحتلها الأسرة في حياة المجتمع العربي. ولعل قيام المرأة العربية بثنائية الدور(الالتزامات الأسرية-التزامات العمل الخارجي) يتطلب دعما خاصا، وتوفير المناخ الملائم والهادئ للمرأة من طرف(الزوج، الأبناء، المحيط، وحتى المجتمع بمفهومه الواسع) للقيام بأدوارها المتعددة داخل وخارج الأسرة، خاصة في ظل التحولات التي يعرفها المجتمع الحديث الذي يدعو إلى استثمار كل القدرات والطاقات البشرية رجالا كانوا أو نساء للمساهمة في بناء الحضارة الإنسانية، وتشييدها.

فالمرأة العربية والجزائرية بشكل خاص تستحق، ومن حقها الاعتراف لها بإمكانياتها وقدراتها، واستحداث نظرة أكثر إيجابية نحوها، وتقديرا معتبرا اتجاهها يتماشى وفقا للدور الفعال الذي تقوم به على المستويين الأسري والمجتمعي.

وفي اعتقادنا لن يتحقق ذلك إلا من خلال التوجه نحو مشروع تنموي يعمل على تجاوز الصورة النمطية السلبية التي التصقت بحياتها، وذلك من خلال تنمية وتطوير

منظومة قيمية أخلاقية بشأنها، تساعد هذه المنظومة القيمية الأخلاقية على تغيير موقف المجتمع اتجاهها تغييرا ايجابيا. ولن يتأت ذلك إلا من خلال إرادة جادة بعيدة عن الشعارات الجوفاء التي طالما نسجت خيوطها حولها. وتجسيد هذه الإرادة يتوقف على التكفل التام من خلال مؤسسات المجتمع، وعلى رأسها مؤسسات التنشئة الاجتماعية بالقيام بنشر الوعي، والتحسيس بقدرات المرأة ، ومحاولة تغيير الصورة للمرأة من خلال : وسائل الإعلام، استحداث صورة جديدة في الكتاب المدرسي، وفي الشارع، وفي المجتمع بشكل عام حتى تتمكن المرأة من احتلال موقعها الصحيح في البناء الاجتماعي.فالتقدم والتطور الذي تنشده المجتمعات لن يتم ما لم يكن هناك تكامل بين المرأة والرجل.

المراجع

1- Linton , R :Status and roles , N. Y , eds , Harcourt , 1949 , p. 211

2- سامية الساعاتي، الدور الوظيفي للزوجين في الأسرة المصرية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، 1972، ص47.

3- Parsons, T : The social system , N.Y , the free press of Glencoe 1952 p. 201

4- سامية خضر صالح: المشاركة السياسية للمرأة، نصر، الصدر لخدمات الطباعة، ط1، 1989، ص 156 .

5- ميشال زميلست وآخرون، المرأة، الثقافة والمجتمع، ترجمة :هيفاء هاشم، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1976، ص6.

6- Loria , Ardaya : La femme et la politique، thèse d'état. Direction : Daniel Peult , Ecole des hautes études en sciences sociales , Paris ,1988, p.2.

7- محمد الجوهري : الأنثروبولوجيا، أسس نظرية وتطبيقات عملية، ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1990، ص169

8- S .De - Bauvoir : Le deuxième sexe, éditions Gallimard, Paris, tome 1,1949, p. 20

9- ميشال زميلست وآخرون، مرجع سابق، ص .41

10- سامية الخشاب ، النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة ، دار المعارف، القاهرة، ط 1،1982 ، ص.30

11- زكريا خضر: "ملاحظات حول واقع المرأة العربية ودورها في التنمية"، المرأة العربية، ص.56

12- خليل أحمد خليل، المرأة العربية وقضايا التغيير ، دار الطليعة، بيروت،ط3، 1985، ص.87

13- سناء الخولي، الزواج والعلاقات الأسرية ، دار النهضة العربية،بيروت، (ب س)، ص20.

[14] مالك ابن نبي، مشكلة الثقافة ترجمة: عبد الصابور شاهين ، دار الفكر العربي، دمشق ،1972 ، ص 163.

15- G. Simmel : Philosophie et modernité, traduction : J.L.Vieillard, Baron, ed, Payot ,1989, p36.

16- زهير حطب ، "مقاربة عصر المرأة"، مجلة الفكر العربي ، معهد الإنماء العربي، طرابلس، ع82، 1995، ص ص3-28.